Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الكتب من المكتبة الموجودة في المشفى، أو يستأجران بعضها من عند الباعة)، ولم يكن دخوله إلى مجال الهندسة العسكرية إلا بناء على توجيهات والده، بل إنه لم يمضِ في هذا الاتجاه أساساً إلا لأنه اقتنع بأن الجيش هو الجهة الوحيدة التي يمكن أن تقيل عثرته المادية، وتجعله في غنى عن سؤال والديه من أجل تأمين مصروفه، وقد كان الأب بخيلاً جداً، وشرساً ومدمناً على الشراب.

في بداية اقتياده مع رفاقه الاثنين والأربعين أحتجز في زنزانة منفردة في حصن القديس بولس مدة أربعة أشهر ذاق خلالها ألواناً عديدة من قسوة الحرمان والذل والمهانة والسطوة البشرية، وكان أشد ما يعذبه هو سؤاله الملحاح: ماذا جنيت؟! بالطبع كان يعرف من خلال شتائم شرطة القيصر أنه متهم بمعاداة القيصر لنشاطه ضمن جماعة بيترا شيفسكي، ولكنه لم يكن يقدر بأن أمراً كهذا يستوجب احتجازاً مدته ثمانية أشهر دون أن يسأل أي سؤال، ولكنه بعد الأشهر الثمانية يقتاد إلى المحاكمة فيحاكم بصورة كاريكاتورية وينال أقسى حكم قضائي أي الإعدام! فتهبط رعدة الموت فجأة على روحه وجسده وأعصابه، ويكاد يجن حين توضع الأغلال الحديدية وسلاسل الزرد في قدميه، ويصير المشهد شبيهاً تماماً بالقتلة والمجرمين المحترفين الذين يقيدون تحسباً لفورات السلوك العدواني والغضب الجامح الأعمى خوفاً منهم على رفاقهم في لحظات الطيش والجنون، ومع ذلك لم يكن هذا الحكم القضائي قاسياً كلحظة اقتياده فجراً مع رفاقه التمانية على صوت الطبول والمزامير وقد لبسوا ثياب الإعدام، فقد كانت اللحظة وداعاً نهائياً للحياة التي لم يعرف من حلوها سوى إشارة أو إشارتين أو مشهد أو مشهدين، وحين قرئ قرار الإعدام لم يمضِ إلى خاتمته النهائية لأن أحد ضباط السجن جاء ملوحاً بالعلم الأبيض الصغير طالباً الإذن بقراءة قرار عفو القيصر عنهم جميعاً. لحظتئذٍ أحس هو ورفاقه أن الحياة تُقبل مرة أخرى، وأن ثمة مجالاً آخر لعيش آخر لم يختتمه طلق البارود الذي وعد به في ذلك الفجر.

وعلى الرغم من ذلك العفو لم يتحرر دوستويفسكي لأنه مضى إلى سيبيريا ليعمل هناك في المنفى لصالح قوات الجيش، في تقطيع حجارة الرخام وصقلها، كما عمل في حمل قطع القرميد، وتجريف الثلوج التي تغطي الدروب والمداخل والأمكنة، والقيود في رجليه!! في تلك الفترة وعى دوستويفسكي وأدرك كيف يموت الإنسان ببطء دونما كرامة أو عزة نفس، وكيف يموت على شاكلة وحش تهدرُ قوتَه وحيويته قسوةُ الظروف وصعوبتها، وحش لا أحلام له ولا تطلعات سوى ما يلبي حاجاته العضوية ودوافعه الفطرية.